مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية

كثير هي الأنظمة الإسلامية والعربية التي تسير ضد إرادات شعوبها للأسف الشديد [1] ، إلا أن الرأي العام الإسلامي في بُعْدِه العاطفي على الأقل ، قد تحرك لمساندة القضية الفلسطينية ، وللتنديد بالهجمة الصهيونية الإجرامية على الشعب الفلسطيني ، وهو تحرك مكّن من رفع معنويات كفاح وصمود الفلسطينيين . فعندما نتابع فضائية فلسطين مثلاً ، نحس بتأثير المظاهرات التي تشد من عضدهم . فلا شيء يمكنه أن يفتّ في قوة الفلسطينيين ومقاومتهم مثل صمت الشارع الإسلامي . وفي هذا الصدد نود أن ننبه إلى الخطاب العدمي والإحباطي التضليلي الذي تمارسه بعض الجهات ، عن حسن نية أو عن سوء نية ، عندما تدعي أن الشعب الفلسطيني ليس محتاجاً للمظاهرات ، فهي ليست خبزاً يؤكل ولا رصاصاً يطلق على العدو ولا دواء يداوي الجروح ولا مأوى يأوي إليه المشردون الذين هدم شارون دورهم بالجرافات .

ذلك أن الشعوب والأمم لا تعيش بالماديات فحسب ، وإنما يحركها الجانب المعنوي ، خصوصاً عندما يكون هناك انعدام مطلق للتكافؤ والتوازن في المجال المادي . ولو كانت الأمور مادية محضة ، لما كانت هناك مقاومة فلسطينية تذكر ، ولو كانت الأمور تحسب بحساب الماديات لكانت دولة لبنان هي أكثر الدول انبطاحاً للعدو الصهيوني ، نظراً للحدود الجغرافية المشتركة ، وصغر البلد ، وضعف موارده ، وخروجه من حرب طاحنة مزقته . لكن واقع الحال أن لبنان أقوى بلد ، في بلدان الطوق ، تماسكاً في موقفه السياسي ضد " إسرائيل " ، وذلك من خلال إصراره على تحرير أرضه ودعمه المعنوي والسياسي لجهاد حزب اللّه ورفضه للأطروحة الصهيونية-الأمريكية بتجريم هذا الحزب وتجريده من الأسلحة ، كما فعلت العديد من الأنظمة العربية مع الحركات الإسلامية ، بحجة مكافحة الإرهاب . فميزان الإرادات أرجح في لبنان من ميزان القوى .

---

(١) غليون ، برهان : محنة الأمة العربية - الدولة ضد الأمة .

مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

لعب تحرك الشارع الإسلامي أيضاً دوراً مهماً في ردع المطبِّعين مع العدو ، وتقزيم حلفائه في المنطقة ، كما استطاع أن يحرك ضمير الرأي العام العالمي ، لأن المظاهرات التي خرجت في كل أنحاء العالم كانت من جهة بتأثير بشاعة الإجرام الصهيوني ، ومن جهة أكبر وأوسع بتأثير حركة الشعوب الإسلامية ، فلولا تحرك الجاليات الإسلامية بالغرب ، كيف كان السبيل إلى ضمير الشارع الغربي الذي تهيمن عليه وسائل الإعلام الصهيوني وتكيف فكره وتخترق حتى عقيدته المسيحية عن طريق صهينة المذهب البروتستانتي اليميني المتطرف ، وإلا من أين للشارع الغربي أن يعي موقفاً مخالفاً ومفارقاً للموقف الإسرائيلي ؟

غير أن قوة الشارع الإسلامي ودرجات تأثيره قد تضعف بفعل وضعية التدافع السياسي والمذهبي بين القوى السياسية المنظمة فيه والمؤطرة له . فبقدر ما يتوفر حد أدنى من النضج والتجرد للقضية ، يدفع ذلك إلى الاهتمام بها بعيداً عن اللافتات والألوان . ينبغي أن يتحرك الشارع الإسلامي - وبدءاً بأرض فلسطين - موحد الشعارات والشارات ، ليرمز بذلك إلى معاني التجرد والإخلاص والذوبان في القضية ، وهذه هي الرسالة الوحيدة التي يفهمها العدو وَمَنْ وراءه من الحلفاء ، ومن معه من الأعوان المحليين . أما الحرص الأخرق على ظهور جهة أو تنظيم بعينه ، وما يتبع ذلك من سياسة التدافع غير الإيجابي ، واستعراض العضلات ، فيتطور إلى نسيان القضية الأصل ، والسعي للغمز من قناة الجهات الأخرى بوصفها متخاذلة أو مقصرة ، وتصبح القضية مطية للتيارات السياسية والإيديولوجيات المتنافرة، فنفتقد الإخلاص ، ويشمت فينا العدو ويبأس الصديق .

لنتخيل مظاهرة هادرة في أحد شوارع الرباط أو الرياض أو إسلام أباد ، في كتلة متراصة واحدة ، ترفع الشعارات في مواجهة العدوان الإسرائيلي أو تؤكد موقفها المبدئي في الالتحام بالقضية بطريقة غير مشروطة ، وبعيداً عن الخلفيات الإيديولوجية! لن يبقى منها في المِخيال الشعبي وفي ضمير الأمة سوى هذا الموج الهادر الهلامي الذي لا وجه إيديولوجي له ، ولا لافتة تنظيمية له ، وهذا هو أقوى وأجمل ما في المسيرات الشعبية الهادرة . إن الصلاة تعلمنا بأن اللّه لا ينظر إلى الصف الأعوج ، وأننا إن اختلفت صفوفنا اختلفت قلوبنا ، كما قال الصادق المصدوق ﷺ ، ولا خير في صلاة لا

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

تعلمنا الحضارة ، ولا نستحضر معانيها في كل سلوكياتنا الاجتماعية والسياسية .

يوجد في الشارع الإسلامي اليوم جاهزية عالية للتعاطي مع قضايا الأمة ، خصوصاً القضية الفلسطينية . والمهم الآن هو كيف يمكننا أن نؤطر هذه الجاهزية ونخرج بها من الاندفاعية نحو العقلانية والوعي والاتزان في التعاطي مع القضايا الإسلامية . فاندفاع الجماهير يفتر مع مرور الزمن ، وهو شيء طبيعي في نفسية الشعوب ، والاندفاع في حد ذاته مؤشر على العاطفية والمزاجية ، غير أنه مطلوب في حد ذاته . ففي قضية مأساوية كالقضية الفلسطينية ، ينبغي أن تستمر الجماهير في الانقذاف إلى الشارع يومياً ، وينبغي أن يكون صبيب تلك الاندفاعات قوياً ، مَهْماً اقتصر على حمولة محدودة وعابرة ولحظية كالحمولة العاطفية .

غير أن أفول جذوة الجماهير ليست دائماً ذاتية ، فالأنظمة تلعب دوراً كبيراً في صب الماء على هذه الجذوة بحالات من القمع والمحاكمة والاضطهاد والتضييق . كما يلعب الإعلام الرسمي نوعاً من التغطية على هذه الجذوات المتوقدة . في حين يصعب على هذه الجذوات أن تحظى بتغطية دولية ، لأن مثل هذه التغطية تعبأ وتهيأ في موعد محدد ومن أجل عمل ضخم مثل مسيرة الرباط المليونية منذ سنتين .

لكننا مع ذلك مدعوون جميعاً اليوم إلى التفكير في عمل مؤسس يحول هذه الاندفاعات والجاهزية الجماهيرية إلى نوع من الاستمرارية تبني الوعي وتؤسس الذاكرة وتتحول إلى ضغط فعلي على الأنظمة : فأنظمتنا تتجاهلنا وتخضع لأوامر أمريكا وصندوق النقد الدولي ، وهي أنظمة مبنية بنيوياً ضد الأهداف القومية والوطنية والدينية للأمة ، لكنها ليست في نهاية المطاف ، مطلقة القدرة على الصمود والتحصن من آثار الجماهير . فهذه الأنظمة تحتاج ، ولو من باب التكتيك ، إلى الاعتذار للسادة الآمرين بضغط الجماهير . ذلك أن عمق الجماهير هو العمق الاستراتيجي الذي ينبغي أن ترتد إليه الأنظمة لممارسة الممانعة تجاه الإكراهات الراهنة ، وأظهَرُها إكراهاتُ الغطرسة الأمريكية .

لتحقيق هدف ممارسة الشارع للضغط السياسي الشعبي على الأنظمة لا بد من المراهنة على الاستمرارية ، فأنظمتنا إذا ما استطعنا محاصرتها بعمل ممنهج ومنظم ، يستعصي على الإذابة ويصمد في وجه القمع ووسائل التفتيت والإغراء وشراء الذمم ، فبإمكاننا أن نصل إلى نتائج يمكنها أن تغير ،

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

ولو جزيئاً من خيارات هذه الأنظمة وتجعلها ، بالتالي ، أمام ضغط من جانبين : داخلي وخارجي ، فيحصل على الأقل نوع من التوازن ، لتجد نفسها مضطرة إلى إنتاج سياسة المناورة في تعاطيها مع القوتين الضاغطتين ، وللحصول على ذلك لا بد من " مأسسة " الشارع الإسلامي عن طريق أساليب متحضرة وديمقراطية وأدوات عمل فاعلة ، وعلى رأسها الأحزاب والنقابات والجمعيات .

وكل هذا مرتبط بمجال الحريات المتاحة في هذا البلد أو ذاك ، وكلما كانت مساحة الحريات أوسع كلما اتسع مجال تأثير القوى المدنية المؤطرة للشارع وتمكنت من أن تفرض صوتها وتجعله عاملاً لا بد من الرجوع إليه ، في حسبان الأنظمة .

ونعتقد أن قضايانا الإسلامية ، مثل القضية الفلسطينية ، يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في بلورة الوعي بأهمية الشارع ودوره المركزي في صياغة القرار السياسي العام للأمة . فكثير من الأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات يعتبر أن الانشغال بالقضية الفلسطينية هو هروب من مواجهة تحديات القضايا الداخلية وفرار من التفكير في إيجاد الحلول الناجعة لها ، وكأن هناك تعارضاً بين الاهتمام المحلي والإسلامي ، وكأن المشكلة الفلسطينية ليست مشكلة محلية في حين أن المخاطر التي يمثلها الاختراق الصهيوني لكل بلد وانعكاساته على شعبنا سياسياً وغذائياً وصحياً وديموغرافيا من الخطورة بمكان .

لكن الوعي الاستراتيجي بقضية فلسطين غائب عند العديد من الأحزاب والنقابات والجمعيات ، وهي التي من المفروض أن تؤطر الرأي العام . بل وكثير من هذه الجهات تعيش حالات من الأنانية الذاتية والانتكاسة والانغلاق على الشأن المحلي والوطني ، مما يمنعها من الخروج إلى الأمة وإلى البعد الإسلامي .

مجلة الرائد

العدد : ٢٤٠ الموافق في شوال ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٢ ميلادي

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

٢- " الإرهاب " والإسلام : أي علاقة ؟

إن تناول قضية الإرهاب كأي قضية ذات بعد فكري في العمق ، يحتاج إلى الإمساك ، في البداية ، بمفاتيح المفاهيم والمصطلحات باعتبارها المدخل الطبيعي لمعالجة الظواهر الاجتماعية والسياسية بطريقة سليمة ، إذ بغير ذلك تصبح اللغة بديلاً مغلوطاً للواقع ، تؤسس لعلاقات غير سليمة بين عناصره ، عوض أن تؤدي دورها الطبيعي الذي هو أن تعكس هذا الواقع وتؤطره بطريقة تحترم منظومته الداخلية واحترام هذه المنظومة الداخلية يستلزم أول ما يستلزم ، الإدراك السليم للعلاقات النسقية والبنيوية ، بعيداً عن الاجتراء والتشويه .

لنأخذ على سبيل المثال مصطلحين قرآنيين يؤطران مفهومين مركزيين في التصور الإسلامي للوجود ، هما مصطلحا : " الإصلاح " و " اليمين " لقد حاولت بعض الدراسات الماركسية التسطيحية قرن الرؤية الإيجابية في القرآن لهذين المفهومين " بالأيديولوجية الرأسمالية اليمينية المحافظة " فالإصلاح قرين المحافظة المتصالحة مع الواقع القائم ، واليمين ضد اليسار الذي يحيل على الاشتراكية والراديكالية! وهكذا ببساطة يتم اجتراء مفاهيم مشتركة لغة - بسبب إشكال الترجمة - خارج سياقاتها المرجعية ، لوصم القرآن " بالرجعية "!

أبسط ما يمكن تبيينه لكشف خداع هذا التسطيح المغرض ، هو أن المفاهيم تتأسس ضمن ثنائيات تقابلية تحفظها نسقياً . هكذا نجد أن " الاصطلاح " يوضع مقابل " الثورة " في القاموس السياسي الغربي المعاصر على خلفية النقاش (الفلسفي-السياسي) لعصر الأنوار قبيل الثورة الفرنسية ، في حين يوضع " الإصلاح " مقابل " الفساد " في المنظومة القرآنية . أما " اليمين " فيوضع مقابل " اليسار " في المرجعية الغربية ، أما في المرجعية الإسلامية فيوضع مقابل " الشمال "! حيث يأخذ " اليسار " معنى أقرب إلى اليمين في المرجعية الغربية ، وحيث يكون للإصلاح معنى راديكالي في مواجهة الإفساد!

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

ولعل مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم ، أكثر مصطلح تعرض للقرصنة المفاهمية على يد الغرب سعياً منه لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام نفسه ، بعد أن نجح خلال عقود من القهر الإعلامي ، مستغلاً بعض الأخطاء ، في إلصاق التهمة بالمسلمين ، جميع المسلمين!

لقد التقط الغرب مصطلح الإرهاب ، في سياق مبادرته إلى الإمساك بالمصطلحات وتسويقها إعلامياً ، وبادر إلى وصم الإسلام بالإرهاب (بمعنى Terrorism) في سياق منظومة من المفاهيم الهجومية تبدأ بالتشدد إلى التطرف إلى التعصب إلى الأصولية فالإرهاب .

وهذا في العمق يدل على أن أحد ثوابت الفكر الغربي هو " نفي الآخر " . وقد وضَّح ذلك جيداً مفكرون نقديون متميزون ممن لهم فضيلة الفكر المؤسس والإبداع المتميز ، بل والعيش لمدة طويلة داخل المجتمع الغربي كجارودي وإدوارد سعيد ، بينوا أن الغرب لا يحاور الآخر ولا يقبله ، وأنه في العمق يحاور نفسه بنفي الآخر ، لأن الآخر مشروع للهيمنة والإقصاء ، بما أنه مشروع للتحكم والسيطرة والاستغلال ، وليس مشروعاً للتعايش .

في حين نجد أن مصطلح الإرهاب مستعمل في القرآن في دلالة لا صلة لها بدلالة Terrorism . يقول تعالى : { ... **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ... } [الأنفال : ٦٠] وقد ورد هذا التعليل في سياق الأمر بإعداد القوة : { **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ** ... } [الأنفال : ٦٠] .

لقد حاول البعض ، وانطلاقاً من هذه الآية ، أن ينفي عن الإسلام سمة " الروح السلمية " ، ويصفه بأنه المؤصِّل والمؤسِّس للإرهاب . وقد سُمع هذا الكلام من بعض الأكاديميين المؤدلجين في فرنسا بعد أحداث ١١ سبتمبر ، وصرّح بذلك في ندوات تلفزية وفي كتابات لا تحترم نفسها ، دون الانتباه المنصف إلى أن المشكلة تكمن في نزع هذا المصطلح من سياقه القرآني ، ووضعه ترجمة لكلمة Terrorism ، وإسقاط معانيها عليه . بينما إذا نظرنا في العمق سوف نجد بالعكس أن كلمة " الإرهاب " في هذه الآية تأخذ معنى واحداً هو معنى " الردع " ومعنى " الردع " : " ترهبون به عدو اللّه " ، أي تعدون من القوة ما يجعله يخاف من الحرب ، فيرتدع عن ممارسة العنف الذي يضطركم إلى العنف

عنوان المقال : قضايا حساسة :١- الشارع الإسلامي والقضية الفلسطينية ٢- " الإرهاب" والإسلام: أي علاقة ؟!	الكاتب : أبو زيد المقرئ الادريسي

المضاد . وبهذا يكون " الإرهاب " في القرآن مفهوماً ردعياً يؤول في معناه العميق إلى طلب السلم ، لأن الردع يتوخى السلام . الإرهاب إذن في القرآن هو محاولة الوقاية من الاضطرار إلى العنف المضاد بوصفه رداً طبيعياً وعادلاً ومشروعاً ضد العنف . وهكذا نجد أن القرآن كان يهدف إلى معنى تجنب الحرب من حيث هو مطالبة بإعداد القوة حتى لا يستهين العدو بالمسلمين ، فيتقدم عليهم ويضطرهم أن يواجهوه بلغة العنف المضاد .

لقد قام النبي ﷺ ، بالتطبيق الذكي في الحرب لمفهوم " الإرهاب " بمعناه القرآني ، فقد أمر عمه العباس في فتح مكة أن " يحبس أبا سفيان في شِعب " ، وأن يمرر جنود المسلمين أمامه كتيبة كتيبة ، وينسب كل كتيبة إلى قبيلتها . فطفق أبو سفيان يسأل عن كل كتيبة ، فيقال : هؤلاء بنو فلان ، فيقول مالي ولبني فلان ؟ ولما أدى المفعول السيكولوجي لعملية الاستعراض بالإرهاب (أي الردع) دوره في إقناع أبي سفيان بقوة المسلمين ، ركب فرسه ودخل على قومه يقول : " يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به " . فكان فتح مكة سلماً ، ولم يرق أي دم بالمرة . وهكذا تحقق أمر الإعداد المؤدي إلى الردع ، مما أفضى إلى استسلام قريش . ولقد أشاد القرآن الكريم بذلك ، وسجله للتاريخ في قوله تعالى : { **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ** } [الفتح: ٢٤]

وعندما استسلمت مكة ، وطبق النبي ﷺ المفهوم السلمي الحضاري : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » ، ولم يمارس حقه الطبيعي في ممارسة العنف المضاد والمشروع ، أي العقاب بالمثل : { **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ** ... } [النحل : ١٢٦] ، واختار تطبيق الخيار الثاني : { ... **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ** ... } [النحل : ١٢٦-١٢٧] ، أراد أن يغلق الملف نهائياً فقال مخاطباً المسلمين : « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ .. وَإِنَّمَا أُذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ** » [رواه الإمام أحمد في مسنده] رغم أن استحلالها ذلك اليوم كان استحلالاً سلمياً حضارياً راقياً .

وهكذا يتبين لنا أن مفهوم الإرهاب في القرآن مفهوم ردعي ، ولا علاقة له بالإسقاطات البَعدية التي جاءت بعد قرون بفعل القرصنة المفرطة أو التسرع التسطيحي .